

(خطب وعظيه ٣) إعداد فضيلة الشيخ د. فهد بن عبدالله آل طالب

(قصة آدم عليه السلام .. خُطُواتِ الشيطان)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا، أما بعد: فإن خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُّ محمد صلى الله عليه وسلم، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ بدعةٍ ضلالة.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن خيرَ بما تعملون، واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، يوم توفى كلُّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية.

عباد الله/ هذه قصةٌ من قصص القرآن العظيم، كررها ربُّنا وثناها في كتابه مرات، إنها قصةُ الخلقِ الأول، قصةُ أبينا آدم، قصةُ أولِّ من مشى على هذه الأرض، قصةُ مَنْ خَلَقَهُ اللهُ بيده، وعَلَّمَهُ أسماءَ كلِّ شيءٍ، وأسجدَ له ملائكتُه، وأسكنه الجنة. وفي قصَّته عليه السلام مواضعٌ للعبرة يأخذها بنوه.

عباد الله/ من تأمل قصةَ أبينا آدمَ ووقوعه في الذنب رأى أنه عليه السلام لم يقع في الذنب فجأة، وإنما وقع في الذنب خُطوة من بعد خُطوة، إنها خُطُواتِ الشيطان وتزيينه، فأولُّ هذه الخُطُواتِ: الوسوسة، والخُطوة الثانية: القول والتزيين، والخُطوة الثالثة: القَسَمُ والحلِف، والخُطوة الرابعة: الاستنزال إلى المعصية والحثُّ عليها، كما يُدَلِّي المستقي دلوه في البئر، وقد ذكر الله هذه الخُطُواتِ الأربع في سورة الأعراف، قال تعالى: (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبيد لهما ما ووري عنهما من سواتهما) هذه هي الخُطوة الأولى. (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه

الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) هذه هي الخطوة الثانية، حدّثهما وقال لهما وزّين لهما، وقال: إني خلقتُ قبلكما، وأنا أعلمُ منكما، (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) هذه الخطوة الثالثة من خطواته مع آدم، حلفَ لهما أنه ناصحُ لهما في الأكلِ من الشجرة. (فدلاهما بغرور) وهذه هي الخطوة الرابعة من خطوات الشيطان مع آدم، استنزله من عليائه، وحثّه على فعلِ المعصية حثًا، وغرّه وهو الغرور، (يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور).

عباد الله/ (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر)، (ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)، كم من رجلٍ تهاونَ في وسوسةِ الشيطانِ وخواطرِ المعصية، واسترسل معها حتى وقع في المعصية، ولو قطع الطريقَ على الشيطان، واستعادَ بالله واحتمى به لنجا من الوقوعِ في المعصية. نَبّه الإمامُ ابنُ القيمِ رحمه الله إلى هذا المعنى وسمّاه: (حراسة الخواطر)، فإن الإنسانَ لا يعملُ عملاً حتى يسبقَ ذلك العملَ التفكيرُ فيه، وهذه الخواطرُ والأفكارُ هي بذُرُ الشيطانِ في أرضِ القلبِ، يتعاهدُ الشيطانُ البذرَ بسقيه مرّةً بعد أخرى حتى تصيرَ إراداتٍ، ثم يسقيها الشيطانُ حتى تكونَ عزائمٍ، ثم لا يزالُ الشيطانُ بها حتى تُثمرَ الأعمالُ، ولاشك أن دَفْعَ الخواطرِ أيسرُ من دَفْعِ الإراداتِ والعزائمِ، فيجدُ العبدُ نفسه عاجزاً عن دفعها بعد أن صارت إرادةً جازمةً، وهو المفرطُ إذ لم يدفعها وهي خاطرٌ ضعيفٌ، كمن تهاونَ بشرارةٍ من نارٍ وَقَعَتْ في حطبٍ يابسٍ، فلما تَمَكَّنَتْ منه عَجَزَ عن إطفائها ...

وطريقُ النجاة من هذه الخواطرِ ووساوسِ الشيطانِ -ياعباد الله-: أن يلزمَ العبدُ تقوى الله، وأن يَعْلَمَ أن الله مطلعٌ على ما في قلبه وخواطره، لا تخفى عليه خافية، وأن يستحي من الله حقَّ الحياء أن يراه مفكراً في المعصية مُتمنياً لها، وإذا ملأ العبدُ قلبه بخواطرِ الإيمانِ والتفكيرِ فيما يعنيه من أمرِ دنياه وآخرته شَعَّلَهُ ذلك عن خواطرِ الشيطانِ ووساوسه.

بارك الله لنا في القرآن العظيم، وهدانا صراطه المستقيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. أما بعد:

عباد الله/ (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) .. قد عرفتم ما فعل الشيطان، وكيف أوقع أباكم آدم في المعصية، فاحذروا أن تقعوا فيما وقع فيه أبوكم آدم عليه السلام، (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا)، (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا)، ولا يزال العبد في جهادٍ مع الشيطان حتى يلقي الله تعالى، يُصيب منه الشيطان مرةً بعد مرة، وهو يعودُ إلى ربِّه ويستغفره، وكلَّما وقع في الذنب بادرَ إلى التوبة، يعلمُ أنَّ له ربا يأخذُ بالذنبِ ويغفرُ الذنب، والله يحبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين، جاء رجلٌ إلى الحسنِ البصريِّ رحمه الله فقال: "ألا يستحي أحدنا من ربِّه، يستغفرُ من ذنوبه ثم يعود، ثم يستغفرُ ثم يعود، فقال الحسن: ودَّ الشيطان لو ظفَّرَ منكم بهذه، فلا تملُّوا من الاستغفار" ..

وقد علَّمتنا ربُّنا ما نعتصمُ به من كيدِ الشيطان: وأعظمُ ذلك الاستعاذةُ منه، وما تَعَوَّدَ المتعوِّذونَ بمثل سورةِ الفلقِ وسورةِ الناس .. ومَن قرأ آيةَ الكرسيِّ إذا أوى إلى فراشه لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربُه شيطانٌ حتى يصبح .. ومن قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يومٍ مئةً مرة، كانت له عدلٌ عشرِ رقاب، وكُتبت له مئةٌ حسنة، ومُحيت عنه مئةٌ سيئة، وكانت له حرزا من الشيطانِ يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجلٌ عمِلَ أكثرَ من ذلك .. وإذا خَرَجَ الرجلُ من بيته فقال: بسم الله، توكلتُ على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كُفيتَ ووُقيتَ وهُديتَ، وتنحى عنه الشيطان، ويقول شيطان آخر: كيف لك برجلٍ قد هُدي وكُفي ووُقي؟! .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون) ..